الشيخ اطفيش وآراؤه النحوية في كتابه تيسير التفسير

قاسم بن عمر أوبكة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار – عنابة، oubekak@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2015/03/05 **تاريخ المراجعة:** 2015/09/08 **تاريخ القبول:** 2015/09/27

ملخص

الشيخ الحاج امحمد بن يوسف اطفيش الملقب بـ(قطب الأيمة) (1243هـ-1827م/1332هـ-1914م)، عالم موسوعي جزائري، من بني يسجن ولاية غرداية، قبلة العلماء، تخرج على يديه الكثير منهم، ترك تراثا جما من تأليف تبلغ مائة وثلاثة عناوين، شملت مختلف فروع المعرفة منقولها ومعقولها. وقد خولته فطنته لتكون له آراء واختيارات في أغلبها توافق آراء كبار علماء اللغة من سبق منهم ومن تأخر، وفي بعضها تخالفهم.وناقش الشيخ اطفيش بعضَ المفسرين أمثال الزمخشري والبيضاوي فكانت له آراؤه حسب ما يتطلبه الموقف اللغوي وتقتضيه معاني الآيات القرآنية.

الكلمات المفاتيح: اطفيش، آراء، نحو، مدارس، اختيارات.

Cheikh T'fayyech et ses opinions grammaticales exprimées dans son livre Tayssir Ettafsir

Résumé

Le Cheikh Hadj M'hamed ben Youcef T'FAYYECH, surnommé le pôle des imams (1827-1914), est un savant encyclopédiste algérien, originaire de Beni iesguen dans la wilaya de Ghardaïa. Les savants venaient de toute part pour bénéficier de sa grande science, dont plusieurs ont été ses plus fervents disciples. Il nous a laissé un riche patrimoine qui a atteint le nombre de 103 ouvrages, traitant de différentes disciplines scientifiques. Il avait pris des positions et des choix personnels par rapport à plusieurs problèmes linguistiques qui étaient en parfaite harmonie avec les plus grands linguistes arabes, anciens et moderne. Il s'est aussi parfois démarqué de ces savants, en proposant un avis différent. Le cheikh a aussi débattu les problèmes relatifs à l'exégèse du saint Coran, en critiquant parfois les positions prises par quelques-uns tels que Az-zamakhchari et Al-Baydhaoui.

Mots-clés: T'fayyech, points de vue, grammaire, doctrines, sélections.

Sheikh T'fayyechand his Grammatical-Opinions In his book Tayssir Ettafsir

Abstract

Sheikh Hadj M'hamed Ben Youcef T'FAYYECH, nicknamed the pole of imams (1827-1914), is an Algerian encyclopedic scholar, from Beni Iesguen in the wilaya of Ghardaia, Scholars came from everywhere to take advantage of his great science. Many of them were his most fervent disciples .He left us a rich heritage of books that reached the number of 103 items, dealing with different scientific disciplines. He had taken positions and personal choices in several language issues that were in perfect harmony with the major ancient and modern Arab linguists. Also, he sometimes distinguishes himself from these scholars, by offering a different view. The sheikh also discussed issues related to the exegesis of the Holy Qur'an, sometimes criticizing the positions taken by some scholars such as Az-Zamakhshari and Al-Baydhaoui.

Key words: T'fayech, views, grammar, doctrine, selections.

المؤلف المرسل: قاسم بن عمر أوبكة، oubekak@gmail.com

مقدمـــة

الشيخ اطفيش المشهور بـ: قطب الأيمة، يعد من أعظم رجالات هذا الوطن العزيز، آثر البقاء في الوطن واهبا حياته للعلم وإصلاح المجتمع ومحاربة الفساد الذي تسبب فيه الجهل والفقر والفرقة والاستعمار، فكان حقا حلقة في سلسلة العلماء الربانيين الذين نهضوا بالأمة الإسلامية؛ الجزائريةِ عامة والمزابيةِ خاصة.

ففي هذا البحث أحاول التعرف إلى الشيخ اطفيش النحوي؛ نسبه وحياته العلمية وآثاره، ثم أبرز بعضا من آرائه النحوية الواردة في كتابه: «تيسير التفسير» الذي اخترته من بين مؤلفاته، لما للنحو في التفسير من أثر كبير في إظهار المعنى، عسى أن أخلص إلى نتائج تفتح للدارسين آفاق البحث وتحقيق التراث ودراسته، فلا تعرف مكانة الأمة إلا بحجم ما ألفه علماؤها، ولا تعرف قيمة هذا التراث إلا بتحقيقه ودراسته ونفض الغبار عنه.

نسب الشيخ اطفيش:

هو: امحمَّد بن يوسف بن عيسى بن صالح بن عبد الرحمن بن عيسى بن إسماعيل بن محمَّد بن عبد العزيز بن بكير الحفصي اطفيَّش، الشهير بـ «قطب الأَيمة»[1]، أشهر عالم إباضيٍّ بالمغرب الإسلاميِّ في العصور الحديثة. مجتهد، مجدِّد المذهب الإباضي بالمغرب، من كِبار العلماء بالفقه والأدب واللغة والتفسير، ومن رجال النهضة الإصلاحية الحديثة بالجزائر[2].

ينتهي نسبه إلى جد العائلة الحفصية المالكة في تونس بين (625–983هـ)[3]. وفي بَعض كتبه يُنهي نسبه إلى أبي حفص عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه[4].

ولد الشيخ اطفيش سنة 1243هـ/1827م[5] ببلدة غرداية[6]، توفي والده وهو في الرابعة من عمره، فكفلته والدته التي كان لها الأثرُ البالغُ في تربيته وتكوينه وتعليمه [7].

توفِّي –رحمه الله– يوم السبت 25 ربيع الثاني 1332هـ/1914م، بعد أن قضى قرابة القرن في الجهاد العلميِّ، والإصلاح الاجتماعيِّ[8].

أ- حياته العلمية:

نشأ الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش في بيئة استفحلت فيها الآفات والخرافات وانتشرت المعتقدات الزائفة، رغم الجهود التي بذلها الشيخان: الأفضلي[9]، ثم ضياء الدين[10] من بعده في الإصلاح ونشر العلم[11]، هذا ما جعل والدته الكريمة تدفع بولدها إلى ربوع العلم والمعرفة بعد أن توسَّمت فيه بوادر النبوغ، فختم القرآن وحفظه وهو ابن ثمانِي سنوات[12]، وحفظ كثيرا من المتون، وبذلك التحق بدور العلماء وحِلَق الدروس بالمسجد وفي دار التلاميذ اليسجنية مع أخيه إبراهيم[13] حيث جلس إلى مشايخ أجلاء، فحوى ما عندهم من العلم أمثال: الشيخ سعيد بن يوسف وينتن[14]، والشيخ عمر بن سليمان نوح[15]، وغيرهما[16].

وقبل ذلك وفي أثنائه كان لأخيه الأكبرِ إبراهيم الأثرُ الأكبر والفعال، في تثقيف شخصيته، وتكوين الرغبة الخالصة في المعرفة مع التوجيه السليم. ولقد منح له كل كتبه التي جاء بها من المشرق العربي، فقرأها من دون أستاذ، ودرسها دراسة معمقة حتى تمكن فيها كل التمكن، وفقه مسائلها وأدرك أسرارها [17].

هكذا كان الشيخ اطفيش عصاميا، فلم يسافر للدراسة خارج موطنه، بل كان دأبه الحرص على اقتناء الكتب واستنساخها، يجتهد في طلبها واشترائها من كُلِّ البلدان، رغم قِلَّة ذات اليد، وبُعد المسافات، وصعوبة الاتصَال. فتجمَّعت لديه مكتبة غنية، تعد فريدة في عصرها بالنظر إلى ظروف صاحبها. ولقد تجمع لديه عدد من خزائن

الكتب النفيسة كمكتبة نجل الشيخ عبد العزيز الثميني وخزانة أم أولاده عائشة نوح[18] التي ورثتها عن أبيها، والتي كانت سببا في زواجه بها[19].

وما كاد يبلغ السادسة عشرة من عمره، حَتى جلس للتدريس والتأليف، ولا يكاد يُرى إلاَّ على هذه الحالة في الحضر أو في السفر وهو على متن السفينة في رحلته الحجازية، فاستطاع في هذه السن أن ينْظم كتاب مغني اللبيب لابن هشام في خمسة آلاف بيت، وكان حقا عالم وادي مزاب وَلَمَّا يبلُغ العشرين من عمره. كما أنَّه ذكر في كِتَابه: «شامل الأصل والفرع» أنَّه بلغ درجة الاجتهاد المطلق [20].

جسد رسالة المسجد في الإصلاح الاجتماعي بعد أن أخذ زمام المشيخة فيه، فحارب الجهل والبدع المنتشرة. وتولَّى منصب القضاء، ثمَّ اعتزله لَمَّا بسط الاستعمار الفرنسيُّ نفوذه على منطقة مزاب سنة 1882م[21]. قاوم المستعمر الفرنسي بكل الوسائل، ودعا إلى مقاطعة كل مستعمر وعدم التعامل معه ومجاهدته في الجزائر خاصة والعالم الإسلامي عامة[22].

ب- مكانته العلمية:

لقد أصبح القطب قبلة القاصدين للعلم والاستفتاء في الدين من الرجال والنساء على السواء، فقد كان شخصِية موسوعية، نادرة عصره في رسوخه وعطائه العلميِّ في مزاب[23]، وخارجه؛ إذ كانت له علاقات وطيدة مع علماء كثيرين؛ أمثال: الشيخ عبد القادر المجاوي[24]، والشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي[25]، ومن خارج الجزائر أمثال الشيخ سالم بوحاجب[26] شيخ مشايخ جامع الزيتونة، والشيخ محمَّد عبده[27]، وغيرهم كثيرون ممن التقى بهم بخاصة في رحلته الحجازية، أو راسلهم وراسلوه، ومن جالسوه في مكة والمدينة[28].

ولكل هذا وذاك من غزارة علمه ومكانته الرفيعة لقَّبه الشيخ نور الدين السالمي[29] «قطب الأيمَّة»[30].

قال عنه الدكتور أبو القاسم سعد الله بعد أن تحدث عن تفاسيره الثلاثة، وعددها، وتاريخ طبعها: «كان الوحيد عندئذ الذي ألف في هذا العلم على ما نعرف، وكانت له من الإمكانات الأدبية واللغوية والمواهب العقلية ما أهله لخوض هذا البحر، فقد كان ولوعا بالأدب واللغة والتاريخ والبلاغة والحديث، وله اطلاع واسع على الحضارات ومساهمات الشعوب» [31].

وقال عنه الشيخ محمد علي دبوز: « إذا نظرت في كتب التفسير التي وضعها، ورأيت مباحثه النحوية وإعرابه فيها، وحفظه لمذاهب النحاة في مشاكل النحو علمت أي بحر هو في علوم العربية...» [32].

ويقول أيضا: «أثر عن تلاميذ القطب أنَّ شيخهم يعرف ما في ابن عقيل، والأشموني، والمغني، وسعد الدين التفتازاني في البلاغة وشروح السمرقندية كما يعرف داره التي نشأ فيها؛ لا يحتاج في تدريسها إلى إعداد ومراجعة، وذلك لحافظته القوية وذكائه النادر، وشغفه بالعلم شغفا جعله ينكب على العلوم فيتقن درسها» [33].

ج- معهده ومنهج تدريسه:

أنشأ القطب سنة: 1253هـ/1837م معهدا للتدريس ببني يسجن، هو في الأصل داره، تخرَّج فيه علماء ومصلحون ومجاهدون، انبثُّوا في أقطار المغرب والعالم الإسلاميِّ[34]. يعتمد استغلال الوقت، والتركيز على التلقين. إذ تستمرُّ دروسه طيلة أيام الأسبوع، من الضحى إلى الزوال، ثمَّ يزيد دروسا في المساء بعد العصر إلاَّ يوم الجمعة.

ولا يدرِّس في اللَّيل إلاَّ الغرباء والنجباء والمتفوِّقين؛ فليلُه خصَّصه للتأليف والإجابة عن الرسائل والاستفتاءات المتهاطلة عليه؛ ولتفانيه وغزارة علمه كان يدرِّس أحيانا أحد عشر درسا مختلفا في اليوم الواحد، يستعمل فيها

اللسان البربريَّ المحلِّيَّ كأداة للتدريس عند الاقتضاء، ولا يحاسب تلاميذه على الغياب أو الإبطاء، وإذا رأى منهم تعبا روَّح عنهم بما يدفعهم إلى النشاط والتركيز. كما يولي عناية خَاصَّةً لأسئلتهم، فيكتبها ويحقّق مسائلها، ولا يعجز عن الرجوع إلى المصادر، ولو أثناء الدرس[35].

د- تلاميذه:

بهذا المنهج في التعليم، والسعة في العلم، انهال عليه الطلبة من مختلف الأقطار الإسلاَمِيَّة؛ من مزاب، وجربة، ونفوسة، وعمان، وكلُّهم رجال عاملون في مختلف مواقع الحياة: تأليفا، وتعليما، وقيادة، وقضاء، وإصلاحا، من أشهرهم بمزاب: نزيل القاهرة العالم المحقق أبو إسحاق إبراهيم اطفيَّش، وإبراهيم الإبريكي، وأبو اليقظان إبراهيم بن عيسى رائد الصحافة العربية الجزائرية، ومن ليبيا: سليمان باشا الباروني. ومن تونس: سعيد بن تعاريت. ومن المدينة المنوَّرة: أحمد الرفاعي. وغيرهم كثير مِمَّن بلغ المشيخة [36].

هـ- مؤلفاته:

لقد ترك الشيخ القطب تراثا جما من تآليف أغنى بها المكتبة الإسلامية كمًّا ونوعًا، يبلغ عددها -على اختلاف الرواة- مئةً وثلاثةَ عناوين[37] . اتسع له العمر، ليترك هذا التراث الجليل، إذ كان حريصا على الكِتَابة، لا يتركها في حضر ولا سفر، وصفه تلميذه أبو اليقظان بِأَنَّهُ لا يُعرف إِلاَّ في تدريس علم، أو تأليف كتب[38] . وشملت تآليفه مختلف فروع المعرفة، في المنقول والمعقول[39] .

1- في تفسير القُرْآن، له ثلاثة تفاسير:

«تيسير التفسير» (مط)

«داعي العمل ليوم الأمل» (مخ)

«همیان الزاد إلى دار الميعاد» (مط)

2- في التجويد:

«تلقين التالي لآيات المتعالي» (مخ)

«جامع حرف ورش» (مط)

3- في الحديث:

«ترتيب الترتيب» (مط)

«جامع الشمل في أحاديث خاتم الرسل» (مط)

«وفاء الضمانة بأداء الأمانة» (مط)

4- في السيرة النبَوِية:

«مسائل السيرة» (مخ)

«شرح نونية المديح» (مخ)

5- في التوحيد وعلم الكلام:

«إزهاق الباطل بالعلم الهاطل» (مط)

«البرهان الجلي في الردِّ على الجربي عَلِي» (مخ)

«الجنة في وصف الجنة» (مط).

«الحجَّة في بيان المحجَّة في التوحيد بلا تقليد» (مط).

«الذخر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» (مط).

«الردُّ على الإنجليزيِّ الطاعن في الدين» (مط).

«الردُّ على الصُّفْرية والأزارقة» (مط).

«الردُّ على العقبيِّ» (مط).

«القول المتين»، وَهو شرح مُقَدِّمة الشيخ تيبغورين بن عيسى الملشوطي (مط)

«التقريرات على حاشية الديانات للسدويكشي، وتتمَّتها للمصعبي» (مخ)

«حاشية السؤالات»، لأبي عمرو عثمان (مخ)

«حاشية على شرح النونية» (مخ)

«حاشية على كِتَاب الموجز»، لأبي عَمَّار (مخ)

«شرح أصول تيبغورين» (مخ)

«شرح عقيدة التوحيد»، لعمرو بن جميع (مط)

«شرح لامية ابن النظر العمانيِّ» (مخ)

«عدم الرؤية وإدحاض مذهب أهل الفرية» (مخ).

«فتح الباب للطلاَّب، شرح معالم الدين»، لعبد العزيز الثميني (مخ).

6- في أصول الفقه:

«فتح الله: شرح شرح مختصر العدل والإنصاف» (مخ)، وَهو موسوعة في أصول الفقه المقارن، لو طبعت لكانت في اثني عشر مُجَلَّدا.

7- في الفقه: وَهو أوسع مجالات تأليفه:

«شرح كِتَاب النيل وشفاء العليل»، موسوعة فِقهية جامعة لآراء المذاهب الإِسلاَمِيَّة. (مط)

«إطالة الأجور وإزالة الفجور» تحقيق الباحث: عمر بازين (مط).

«الذهب الخالص المنوَّه بالعلم القالص» (مط).

«ترتيب تحفة الأديب وتخصيب القلب الجديب» (مخ). وهو ترتيب كتاب لعمرو بن رمضان التلاتي.

«ترتيب كتاب اللقط للشيخ عمرو بن رمضان التلاتي» (مخ).

«ترتيب كتاب المعلقات» لمؤلف مجهول، (مط).

«ترتيب المدوَّنة الكبرى لأبي غانم بشر بن غانم الخراساني» (مخ).

«ترتيب نوازل نفوسة» (مخ)، وهي مجموعة أجوبة ورسائل لبعض أَيمَّة الإباضية.

«تفقيه الغامر بترتيب لقط موسى بن عامر» (مط).

«جامع الوضع والحاشية»الوضع لأبي زكرياء الجناوني، وحاشيته لمحمد بن عمر أبي سِتَّة المحشِّي، (مط).

«حاشية أبي مسألة» لأبي العَباس أحمد (مخ).

«حاشية القناطر» لإسماعيل الجيطالي، (مخ).

«حاشية على جواب ابن خلفان» (مخ).

«حاشية على شرح الرائية» (مخ).

«حكم الدخان والسعوط» (مط).

«حيَّ على الفلاح: وهي حاشية على كِتَاب الإيضاح» للشيخ عامر بن علي الشماخِي (مخ).

«شامل الأصل والفرع» (مط)

«شرح الدعائم الموسَّع» (مخ).

«شرح الدعائم» شرح بَعض منظومات ابن النظر العماني المسمَّاة: الدعائم (مط).

«القنوان الدانية في مسألة الديوان العانية» (مط).

«كِتَاب التحفة والتوأم» (مط).

«كشف الكرب» (مط).

«مختصر في عمارة الأَرض» (مخ).

8- في التاريخ:

«إزالة الاعتراض عن محقِّي آل إباض» (مط).

«الإمكان فيما جاز أن يكون أو كان» (مط).

«الرسالة الشافية في بَعض تواريخ وادي ميزاب» منه نسخة مختصرة (مط)، وأخرى موسَّعة (مخ)

«السيرة الجامعة من المعجزات اللامعة» (مط).

«الغَسول في أسماء الرسول» (مط).

9- في النحو واللغة والعروض:

«إيضاح الدليل إلى علم الخليل» (مخ).

«الحاشية الثانية على شرح أبي القاسم الداوي» (مخ). وضعه وَهو لا يزال يتتلمذ على أخيه الحاج إبراهيم.

«الكافي في التصريف»

«المسائل التحقيقية في بيان التحفة الأجرومية» (مخ).

«حاشية على شرح المرادي على الألفية» (مخ).

«شرح شرح أبي سليمان داود على الأجرومية» (مخ).

«شرح شواهد القزويني» (مخ).

«شرح شواهد الوضع» (مخ).

«شرح لامية الأفعال» (مط).

«قصيدة الغريب: نظم متن مغني اللبيب» لابن هشام، (مخ). وهو في خمسة آلاف بيت نظمه وله من العمر سِتَّ عشرة سنة.

10- في البلاغة:

«تخليص العاني من ربقة جهل المعاني» (مخ).

«بيان البيان». وقد حظيت بتحقيق بابين منه: «الدلالة والتشبيه»، في مذكرة الماستر سنة: 2013م، بجامعة غرداية.

«ربيع البديع في علم البديع» (مخ).

11- في المنطق:

«شرح شرح الاستعارات» لعصام الدين، (مخ).

«شرح سلم الأخضري» (مخ).

«إيضاح المنطق في بلاد المشرق» (مخ).

12- في الطبِّ والفلك والحساب:

«تحفة الحِبِّ في أصل الطبِّ» (مط).

«مطلع الملَك في فنِّ الفَلَك» (مخ).

«مسلك الفَلَك» (مخ).

«شرح القلصادي» (مخ).

13- في الشعر: له قصائد عديدة في مواضيع تربوية، ومدائح، ومواعظ، منها:

«ديوان نظم» (مط).

«قصائد القطب» (مخ).

«القصيدة الحجازية» (مخ).

«قصيدة المعجزات» (مخ).

«قصيدة بائية» (مخ).

«قصيدة بدر» (مخ).

«مجموع قصائد وأجوبة» (مخ).

14- في الخط:

«كِتَاب الرسم» مطبوع.

15- مواضيع مختلفة:

«تفسير ألغاز» (مط).

«خطبتا العيدين» (مخ).

«شرح المخمَّسة» (مخ).

«شرح لغز الماء» (مط). وَهو حلٌّ للغزٍ عجز عن حلّه علماء العالم فنال به وساما عالميا.

16- الأجوبة والردود والفتاوى:

له من الأجوبة والفتاوى عدد هائل، جمع بَعضها الشيخ عمر بن يوسف اليسجني، ولا يزال أغلبها مخطوطا، ومتفرِّقا بين المكتبات، وتعدُّ مرجعا فقهيا هاما، خَاصَّةً في نوازل عصره، نذكر منها ما يلي:

«أجوبة لأهل عُمان» (مخ).

«جواب أهل زوارة» (مط).

«جواب إلى محمَّد بن عبد الله الخليلي» (مخ).

«جواب مشايخ مَكَّة» (مط).

17- المراسلات:

راسل القطب علماء وشخصيات من مختلف المدن داخل الجزائر وخارجها؛ من البحرين، والحجاز، وعُمان، ومصر، وتونس، وجبل نفوسة، وجربة، والجزائر، وفاس، والقسطنطينية، وَبَعض العواصم الأوروبية.

ولو جُمعت هذه الرسائل لألفت مُجَلَّدات فيها من أنواع العلوم، والأخبار التارِيخِية الهامة، ما يصلح لدراسات أكاديمية متخصِّصة، نذكر منها على سبيل المثال:

«رسالة إلى الوالي العام الفرنسي بالجزائر» مؤرَّخة في ربيع الأَوَّل 1304هـ بقسنطينة، محفوظة في أرشيف إكس أون بروفونس.

«مجموع الرسائل» (مخ).

«مجموع رسائل بين القطب والإدارة الاستعمارية» (مخ).

وفي الأخير نقول إن الشيخ اطفيش شخصِية موسوعية نادرة العصر في رسوخها المعرفي وعطائها العلميِّ.

بطاقة تعريف عن كتاب: «تيسير التفسير»

كتاب «تيسير التفسير»أحد كتب الشيخ اطفيش الهامة، آخر تصانيفه في التفسير، وضع فيه فكره، وزبدة عمر طويل في التأليف والتدريس والتحقيق، طُبِع أوّلاً طبعة حجرية بالجزائر في سبعة مجلدات من سنة 1325هـ إلى سنة 1326هـ، ثم طبع ثانيًا بدون تحقيق في خمسة عشر مجلدا على نفقة وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان سنة 1988م. وأخيرا حققه الشيخ إبراهيم بن محمد طلاي، بمساعدة لجنة من الأساتذة، وطبع في المطبعة العربية بغرداية، سنة: 1417هـ/1996م.

وعن سبب تأليفه ذكر الشيخ اطفيش –رحمه الله– في مقدمة الكتاب ذلك فقال: «فإنه لما تقاصرت الهمم عن أن تهيم بهميان الزاد إلى دار المعاد الذي ألفته في صغر السن، وتكاسلوا عن تفسيري داعي العمل ليوم الأمل، أنشطت همتي إلى تفسير يغتبط ولا يمل، فإن شاء الله قبله بفضله وأُتِمَّه قبل الأجل»، من هذه المقدمة يتبين لنا أنَّ الشيخ اطفيش رحمه الله قد ألف تفسيرين قبل هذا وهو «هميان الزاد إلى دار المعاد» الذي أتم تأليفه سنة 1271هـ/1852م، هذا التفسير الذي ألفه عندما بلغ السنَّ الرابعة والثلاثين من عمره، وقد طبع مرَّتين، ألقى فيه الشيخ بكلِّ ثقله وأودعه كل ما عَنَّ له في التفسير فكان بذلك ضخما كبيرا استصعبه القراء وخاصة طلبته، فهجروه ولم يولوه اهتمامهم، ثم ألف بعده «داعي العمل ليوم الأمل» في اثنين وثلاثين جزءا، ومثل الأوّل لم يحرك رغبة طلبته وقراءه للنهم منه، فتحركت همة الشيخ شفقة عليهم، وإيمانا منه أنَّ المعلِّم المقتدر والمؤلف الناجح هو الذي يجذب قراءه ومريديه وأتباعه بأسلوبه، فيشدُّ اهتمامهم إلى الاستزادة من بحور العلم لا أن ينفرهم ويشتت هممهم، فهذا الذي دعاه إلى التجديد وإعادة الصياغة والتأليف.

اختار الشيخ لتفسيره اسما يوافق هذه الرغبة فأسماه: «تيسير التفسير»، وهو آخر التفاسير«ألفه بعد أن تجاوز الستين ونيِّفٍ من عمره بعد أن جلس أكثر من أربعين سنة للتدريس والتحقيق والتأليف، وقد أتمه كاملا بعد أن تجاوز السنَّ الثمانين من عمره، وهو حصيلة عمل طويل وشاق لحياة وهبها لله خدمة لكتابه وللعلوم التي تخدم كتاب الله تعالى، وقد كان –رحمه الله– يعتزُّ بهذا التفسير كثيرا، ويحثُّ طلاّبه على الإقبال عليه والرجوع إليه» [(40)]، فقد قال عنه أيضا في كتابه «كشف الكرب»مُبديًا شفقته على طلابه وهو يعدهم بإنتاج جديد وتفسير يسير مجيبا عن سؤال ألقي إليه: «ولكما الآن والحمد لله الرحمن الرحيم من تفسير المذهب ما يغنيكم إن شاء الله عن تفسير غيره، فإن ذكرت مذهبهم فإما لأرده، وإما لأنه حق، وقد اعتقدناه قبل أن نراه لهم، ولست مقلدا لأحد ولا سيما التيسير الذي قرب إن شاء الله الرحمن الرحيم كمالُه، والله ما ذكرته إلا لترغبوا فيه لأنه غير طويل، بل متوسط مع جمعه ما ليس في المطولات. والحمد لله» [(41)] .

آراؤه النحوية:

مرَّ بنا فيما سبق أن الشيخ اطفيش –رحمه الله– نشأ عصاميا، فلم يتتلمذ على شيخ إلا في صغره، وأنه باشر حِلق التدريس في سن مبكرة، فاتخذ من منزله معهدا لتلامذته، وكان يستجلب الكتب المهمة يعرض آراء أصحابها ويدرسها ويناقشها وينقدها، فيوافقها أو يخالفها، كل هذا جعل الشيخ متحررا، مجتهدا لا مقلدا.

وتفسيره هذا «تيسير التفسير»حافل بالقضايا اللغوية التي تطرق إليها العلماء والمفسرون، كان له منها مواقف مختلفة شكلت آراءه اللغوية والنحوية. التي بناها على أصول ثلاثة هي:

1- القرآن الكريم وقراءاته وتفاسيره.

2- ما اجتمع عنده من كتب اللغة.

3- اجتهاداته وتأملاته.

إنّ للشيخ اطفيش في تفسيره طرقا متنوعة في إيراد مختلف الوجوه الإعرابية المحتملة للآية الواحدة، وهو يهدف في ذلك إعطاء القارئ أكثر قدر ممكن من الأدلة على ما تفسر به الآية، ويفعل ذلك أيضا من أجل غاية تعليمية.

فإذا تتبعنا منهجه النحوي وتعقبنا آراءه لاحظنا أنَّ أغلب آرائه متفقة مع النحاة البصريين دونما تصريح بذلك ونسبة، وقد ينسبها إلى قائلها في بعض الأحيان، أو قد يخالف هذه الآراء وقائلَها صراحة. ولا يمنع هذا الموقف الغالب أن يأخذ كذلك بآراء الكوفيين ويعرض أدلتهم فيوافقها، أو يخالفها، ثم أيضا لم تكن المدرسة البغدادية بمعزل عن الشيخ في عرض بعض آرائها ونقدها، وقد يبتعد عن هؤلاء كلهم فيتفرد برأيه المغاير.

وسأعرض هنا بعض هذه الآراء التي تبرز شخصية الشيخ اللغوية:

آراؤه في المسائل النحوية:

– وافق البصريين أو بعض شيوخهم في:

متعلق شبه الجملة في الجملة المنفية بـ لا النافية:[42] في مثل قوله تعالى: ﴿لاَ غَالِبَ لَكُمْ﴾(الأنفال:48)، في المسألة أوجه عديدة في الإعراب بسطها جلال الدين السيوطي (911هـ) في كتابه همع الهوامع[43] ، وكذا المرادي في كتابه الجنى الداني في حروف المعاني[44] ، فاختار الشيخ منها أن يكون متعلق شبه الجملة «لكم» بمحذوف خبر «لا»، ولا يتعلق باسمها «غالب» فلو كان ذلك لنُوِّن الاسم، وهذا رأي البصريين. وأخذ به أيضا أصحاب التفاسير كالزمخشري وابن عرفة والبيضاوي وأبي حيان. ويتَّضحُ أنه ردَّ قول البغداديين في المسألة لما استعمل صيغة التمريض المبني للمجهول، فيقول: «وقيل بالتعليق باسم «لا» في مثل ذلك، وعدم التنوين ليس للبناء، بل تشبيه بالمضاف، وعليه البغداديون».

النصب على نزع الخافض:[45] في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾(مريم:36) «التقدير في مذهب الخليل وسيبويه لأن ربي وربكم فـ(أنّ) في موضع نصب عندهما، وأجاز الفراء الخفضَ على حذف اللام، وأجاز أيضا في موضع خفض بمعنى: (وأوصاني بالصلاة والزكاة وبأنَّ الله ربي وربكم)، وأجاز الكسائي أن يكون في موضع الرفع بمعنى: (والأمر أنَّ الله ربي وربكم)، ولقد اختار الشيخ قول الخليل وسيبويه والزجاج في تقدير اللام قبل «أنَّ»، والتعلق بـ«اعبدوه»، على أن الفاء زائدة لتأكيد الربط، أي اعبدوه لأنه ربي وربكم، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ المَسَاجِدَ للهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً﴾ إذا قلنا: المعنى لا تدعوا مع الله لأن المساجد لله.

صفة مشبهة أم اسم تفضيل:[46] في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾(البقرة:204)، وقع خلاف بين اللغويين في كون «ألدُّ» اسم تفضيل أم صفة مشبهة، فاشتهر على أنّه صفة مشبهة واحتج له بورود مؤنثه على وزن فعلاء كحمراء، وأخذ به الشيخ الطاهر بن عاشور، والزمخشري، وابن عطية،[47] إلا أنَّ ما ثبت عند اللغويين أنَّ الصفة المشبهة تأتي على وزن «أفعَل» من «فَعَلَ» اللازمِ، قياساً مُطرداً، لما دَلَّ على لونٍ، أو عيبٍ ظاهرٍ، أو حِلْية ظاهرة. ومُؤنثُهُ «فَعْلاءُ»[48].

لذا فإنّ الشيخ اطفيش خالف هذا الرأي في كون «ألد» صفة مشبهة، ورجح عنده أنه اسم تفضيل، معللا ذلك بأن الصفة المشبهة التي على وزن أفعل تختص بالألوان والعيوب ونحوها، فقال موعزا هذا القول إلى الخليل والزجاج: إنّه لا يصح أن يُقال في أعلم وأفضل إنهما صفتان مشبهتان. وقد أخذ بها أيضا أبو حيان في البحر المحيط، وجلال الدين السيوطي في حاشيته على تفسير البيضاوي[49].

«أم» منقطعة أم متصلة:[50] في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ﴾(الطور:43)، يرى الشيخ اطفيش أنَّ «أم» في مثل هذه المواضع كلّها منقطعة وليست متصلة، كما هو رأي أغلب النحويين، وهو رأي الخليل أيضا، ولقد ردَّ الشيخ رحمه الله رواية للثعلبي عن الخليل أنها متصلة، ثم أوَّلها بما يليق بها، فقال: «إن صحت الرواية فمراده –والله أعلم– أنها بمعنى الهمزة الاستفهامية، ولم يُرد أنَّ لها معادلا، بل نفى أنها منقطعة».

– ما خالف فيه الجمهور واستقل فيه برأي وذلك:

في جواب الشرط:[51] وقد خالف الجمهور في أن الجملة في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ﴾(الكهف:6) جواب شرط، والفاء رابطة لجواب الشرط، ذلك لأن الصحيح عنده أن جواب الشرط لا يتقدم، لعدم وجوب قرن الجملة التي لا تصح شرطا بالفاء إذا تقدمت نحو: قم إن قام زيد، أو أنا قائم إن قمت، وليست واردة بالفاء إلا باعتبار ما قبلها.

ولم يقبل أيضا قولهم الجواب محذوف دل عليه ما قبله، بل الصواب عنده أن لا جواب له، لأنه أغنى عنه ما قبله، والمقدر في ذلك لا يقصده المتكلم فكيف يقدره.

–وافق الكوفيين في:

دلالة«مَنْ» على بداية الزمان:[52] في قوله تعالى: ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ (التوبة:108)، «ذهب الكوفيون إلى أنَّ «من» يجوز استعمالها في الزمان والمكان.وذهب البصريون إلى أنّه لا يجوز استعمالها في الزمان»[53].

يقول الشيخ اطفيش: «من يوم أوّل أو من أوّل وقت، والآية حجة على مجيءِ «مِنْ» لابتداءِ الزمان وله أدلة كثيرة، وأخطأَ البصريون في منع ذلك، وتأْويل كلِّ ما ورد من ذلك بغير الزمان، مثل أن يقدر: «مِن تأْسيس أوّل يوم»، مع أنَّه لو صرَّح بتأْسيس لكان الزمان به أولى لكثرة المصدر بمعنى الزمان، كجئْت طلوع الشمس، وقلته في المكان كجلست قرب زيد». فنجد الشيخ يرد قول البصريين بمنعها في الزمان، مثبتا بذلك قول الكوفيين الذين أجازوها، ويعلل رده هذا أنَّه حتى ولو صرح بلفظة «تأسيس» التي هي مصدر والمصدر كثيرا ما يأتي بمعنى الزمان.

– أما ما خالف فيه الكوفيين فهو:

الاسم الواقع بعد: «إن» الشرطية[54] : في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ﴾(التوبة:6).

إن الشرطية؛ تختص من بين سائر أدوات الشرط بجواز وقوع اسم مرفوع بعدها، بشرط أن يكون الفعل التالي للاسم المرفوع ماضيا، وارتفاع هذا الاسم بفعل مقدر عند البصريين يفسره اللاحق، وليس مقدما على عامله كما يقول الكوفيون(55).

فبعد أن استعرض الشيخ الأقوال الواردة في المسألة اختار قول البصريين، فيقول: «أحدٌ»«فاعل لاستجار محذوف، أَو مبتدأ لكون الخبر فعليا عند بعض فساغ كون الشرط جملة اسمية، وهو قول عن سيبويه، وأجيز ولو كان الخبر اسماً، أَو فاعلا مقدما، والصحيح الأَوّل».

– أما ما استقل به عن غيره فهو في:

متعلق شبه الجملة:(56) في قوله تعالى ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾(قريش:1)، وقع خلاف بين اللغويين في متعلق شبه الجملة؛ فمنهم من علقها بـ«فَلْيَعْبُدُوا»، ومنهم من علقها بمحذوف في آخر سورة الفيل قبلها» وهو قول الأخفش، ومنهم من علقها بـ«فجَعَلَهُم» في آخر سورة الفيل أيضا. فاختار الشيخ –رحمه الله– الرأي الأوّل، وردَّ الرأيين الثاني والثالث.

ووجه اختياره الأوّل أنَّ الفاء في «فليعبدوا» لا تمنع من تعلق شبه الجملة بالفعل لأن الفاء فيه صلةٌ لتأكيد الربط وتلويحٌ لمعنى الشرط، فيقول الشيخ: ««إنَّ نعم الله تعالى غير محصورة فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لنعمة الإيلاف»، وإنما تمنع التقديم لمعمول ما بعدها عنها لو كانت في جواب شرط محقق وهو المتبادر وهو قول الخليل».

أما القول الذي رده الشيخ هو رأي الأخفش الذي يرى أن شبه الجملة ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ متعلقة بمحذوف في آخر السورة قبلها لدلالة عليه تقديره «فعلنا ما فعلنا من إهلاك أصحاب الفيل وأهلكنا أصحاب الفيل لإيلاف».

فرد الشيخ هذا لأنه لا يجوز تعليق ما في أول السورة بآخر ما قبلها إذ لم يوجد هذا في القرآن الكريم، حتى ولو أمكن هذا لصحة المعنى والقرب وعدم الحذف والتقديم والتأخير والتأويل على قول من قال إنَّ القرآن كالسورة الواحدة، فإنّ الشيخ امتنع عنه لوجوب المحافظة على استقلالية كل سورة.

ويصر الشيخ على بطلان هذا القول وإن كان قول جماعة من المفسرين لأنه أيضا يرده الفصل بالتسمية المتواترة بين السور نطقا وخطا، مع أنَّ البسملة لم توجد في مصحف أبيٍّ لكن روي أيضا أنها وجدت فيه والمثبت مقدم على النافي. ومع هذا فإن الشيخ ترك فسحة الرأي الآخر فرجح إن صح هذا وصار إلى هذا التقدير فليكن التعليق على قوله تعالى: «فجعلهم» في آخر سورة الفيل وهذا هو الرأي الثالث.

«ما» بين الصلة والنكرة الموصوفة:(57) في قوله تعالى: ﴿مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾(الذاريات:23).

اختار الشيخ في هذه المسألة رأي الخليل في كون «ما» صلة، فيكون توجيه الإعراب أن «مثلَ» مفعول مطلق أي: «حقٌّ ذلك حقًّا مثلَ نطقكم»، أو حال وإضافته للمصدر المعرف لا تفيد تعريفا، وصاحب الحال الضمير في حق.

أما إن جعلت «ما» نكرة موصوفة، فتوجيه الإعراب أنَّ المصدر مما بعدها خبر لمحذوف، والجملة نعت «ما»، فـ«مثل» مضاف لنكرة، أي: «مثل شيء هو نطقكم»، أو «مثل نطق هو نطقكم».

«أنْ» بين التفسيرية والمصدرية:(58) في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾(الأنعام:72)، «أن» التَّفْسِيرية أثْبتها البصريون وَأنكر الْكُوفِيُّونَ كَون ذَلِك من مَعَانِيهَا. ووضع السيوطي في همع الهوامع لها شرطين: أَحدهمَا: أَن تكون مفسرة لما يتَضَمَّن القَوْل أَو يحْتَمله لَا لقَوْل مُصَرح بِهِ أَو

مَحْذُوف أَو فعل متأول بِمَعْنى القَوْل، فَإِن صرح بالْقَوْل خلصت الْجُمْلَة للحكاية. الشَّرْط الثَّانِي: أَلا تتَعَلَّق بِالْأَوَّلِ لفظا فَلَا تكون معمولة وَلَا مَبْنِيَّة على غَيرهَا[59]. وفي مغني اللبيب أضاف إليها شرطين، هما: أن تسبق بجملة، ويأتي بعدها جملة لا مفردا. أما تأويلها بالمصدرية فإنه لا بد من تقدير حرف جار وتكون معمولة له.

فالشيخ اطفيش –رحمه الله– منع أن تكون «أن» تفسيرية إذا عطفت الآية على قوله تعالى: ﴿قُلِ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الهُدَى﴾ ذلك لأن فيه لفظ القول. ورد قولهم يغتفر في الثواني مالا يغتفر في الأَوائل بأن هذا مقصورٌ على السماع، وحيث لا ملجأَ عنه.

وإن أجيز أن تكون «أن» للتفسير فليكن العطف على قوله «لنسلم» عطفاً على المعنى. كما قال في غير القرآن عطف توهم كأَنه قيل: أمرنا أَن أُسلِمَ وأَن أَقيموا، لأَن في الأَمر معنى القول لا لفظه، أَو يقدر: ومرهم أَن أَقيموا الصلاة، ولكن على هذا الوجه تنقطع الحكاية.

أما الحالة الثانية في تأويل «أن» بالمصدرية ففيه خلاف لأنها داخلة على الأمر والنهي. فمن أجازه كسيبويه والفارسي استدلوا بدخول حرف الجر عليها إذ لا يدخل إلا على الاسم، فتؤول بمصدر طلبي، كما قدر ذلك الزمخشري في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ﴾(نوح:1)، أي: بالأمر بالإنذار.

وممن رد هذا القول الدماميني بأن كل موضع وقع فيه الأمر هو محتمل لكون «أن» فيه تفسيرية بمعنى: «أي». فإن لم يقدر فيه الجار فهي إما تفسيرية، وإما زائدة لكراهة دخول حرف الجر على الفعل ظاهرا، وإن كان في الواقع اسما لقصد لفظه[60] .

فالشيخ اطفيش مع المشهور في المسألة بأن لا يجوز دخول «أن» المصدرية على الأمر والنهي، لذا رد رأي سيبويه والفارسي اللذين أجازا ذلك.

ورد الشيخ أيضا زعم البعض كأبي حيان والدماميني أَن الأَمر والنهي خارجان عن الإنشاء مع أَنْ المصدرية، والفعل فيه لمجرد الحدث، بأن ذلك تكلف ورجوع في المعنى إِلى القول بالمنع وأَنّ المصدر المقدر بعدها غير طلب.

ثم إنه لم يجز العطف على «لنسلم»لأَنه في تأويل المصدر دون «أَقيموا»، وخولف بين المتعاطفين إِذ لم يُجعلا أَمراً هكذا: أُمِرْنا أَن أَسلِمُوا، وأَن أَقيموا الصلاة واتقوه، ولم يجعلا أَخباراً هكذا: أُمِرْنا بأَن نُسلمَ وأَن نُقيم الصلاة ونتقيه، وعلل هذا التخالف بأَن المأْمور بالإِسلام هو الكافر، والمأْمور بإِقامة الصلاة والاتقاء هو المؤمن، والكافر حال كفره بعيد عن الخطاب بإقامة الصلاة والاتقاء على حد اتقاء المؤمن.

ومثله أيضا ردّ أَنْ المصدرية الداخلة على الأمر والنهي في قوله تعالى: ﴿أَنْ آمِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا﴾(التوبة:86)، فيقول: «والأَولى عندي أَنّ حرف المصدر لا يدخل على الأَمر والنهي، لأَن المصدر لا يدل عليهما إِلا نيابة، نحو: فضربَ الرقاب، وشكراً لا كفراً. إلاّ أَنّه اختار في هذا الموضع «أَنْ» التفسيرية لأَنّ إِنزال السورة متضمن للأَمر بالإِيمان والجهاد».

تقدير جواب «لمَّا» المحذوف[61] : تضاربت الآراء في موضع تقدير جواب «لمَّا» في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ، وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾(الصافات:103–104)، فبعض قدّره بعد الجبين «هكذا أجزلنا لهما الأجر»، وقدّره الخليل وسيبويه قبل ﴿وَتَلَّهُ﴾ وقيل: الجواب: ﴿تَلَّهُ﴾، وقال الكوفيون: ﴿نَادَيْنَاهُ﴾ بزيادة الواو في الوضعين على القولين، لكن الشيخ –رحمه الله– اختار أن يكون موضع التقدير بعد قوله تعالى: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ «كان ما كان من شكر واستبشار بالنجاة، والفوز بما لم يفز به أحد».

الباء بين السببية والقسم[62] : فنراه يلحق الأشباه بنظائرها، ففي مسألة اختياره باء القسم على الباء السببية في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾(الأعراف:16) يقول: «الفاء لعطف أقسم على إنك من المنتظرين، ومحط التفريع هو قوله تعالى ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾(الأعراف:16–17)، ومعنى التفريع أنه بنى على إنظاره قعوده وإتيانه المذكورين، وانتفاءَ شكر الأكثر، والباء للقسم كما في قوله تعالى: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾(ص:82) إلخ، والقرآن يفسر بعضه بعضا، ولو جعلناها سببية لم نجد لها متعلقا إذ لام لأَقعدن مانعة من تقديم المعمول فتحتاج إلى تقدير متعلق مثل فبما أَغويتني أَجتهد في إغوائهم، وهو دون تقدير فعل القسم، وأَيضا لأَقعدن جواب قسم ولا بد، فالقسم بهذه الباء أَولى من تقدير قسم آخر.

– ما خالف فيه بعض المفسرين كأبي حيان وابن عطية:

من الشرطية من الموصولة[63] : في قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّقَى﴾(الأعراف:35) اختار الشيخ أن تكون مَنْ شرطية لا الموصولة التي في خبرها الفاء إن لم يكن في هذا تكلف وذلك في كامل القرآن الكريم، وعلى هذا جل كتب التفسير وكتب أعاريب القرآن الكريم، فهو بهذا يرد توجيه المفسرين لها بالموصولة أمثال ابن عطية، وأبي حيان الأندلسي.

ما بين المصدرية والموصولية[64] : قال تعالى: ﴿لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا﴾(الأحزاب:69) أي قالوه، رد الشيخ قول من قال بجواز جعل «ما» مصدرية وتأويل المصدر بالمفعول مع أن ذلك المفعول هو الموصول الاسمي نفسه، وإنما يُلجَأُ إلى جعلها مصدرية حيث يكون حذف الرابط على خلاف القياس، نحو: أعجبني ما مررت، أي ما مررت به. فيعدل إلى المصدرية بلا تقدير رابط، أي مرورك، أو نحو ذلك من الموانع. لذا فقد اختار الشيخ إبقاء «ما» على ظاهرها من الموصولية الاسمية، وتقدير رابط لها.

– آراؤه في أصول النحو هي كالآتي:

– ما اتفق فيه مع البصريين:

العامل في الحال[65] : في قوله تعالى: ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً﴾(الأنعام:126) فالشيخ رحمه الله ذكر عاملَ النصب في الحال «مستقيمًا» هو اسم الإشارة «ذا» لما فيه من معنى الفعل «أشيرُ»، وهو أيضا العامل في صاحبه «صراطُ» الذى هو الخبر، وقد يكون العامل في الحال هو «ها» التنبيه لما فيها من معنى الفعل وهو قول للبصريين أنَّ العامل «أُنَبِّهُ» المقدر دلّ عليه حرف التنبيه «ها»، فهنا يكون العامل في الحال غير العامل في صاحبها، واختار الشيخ أن تكون الحال مؤكدة لصاحبها لازمة لأَن صراط الله أَبداً مستقيم، وليست مؤكدة للجملة من جملة أُخرى كما يرى الزمخشري. وكل هذا على خلاف الكوفيين الذين لا يعربون «مستقيما» حالا بل خبرا لاسم الإشارة، ويقولون: «إنه منصوب على التقريب، حيث يرون إعمال أسماء الإشارة في الجمل الاسمية عمل كان فيرتفع ما كان مبتدأ على أنه اسم للتقريب وينصب الخبر على أنه خبرٌ له»[66] .

– أيد الشيخ أبا حيان وخالف النحاة في:

تسمية معمول العامل باسم العامل[67] : لقد ردَّ الشيخ تسمية معمول العامل باسم العامل إذا كان حالا، بخلاف تسمية الظرف خبرا لتضمنه معنى الخبر الاستقراري، وذلك في إعراب ﴿أَرْبَعِينَ﴾ من قوله تعالى: ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾(الأعراف:142) وأيد بذلك قول أبي حيان، فقال الشيخ: «وزعم بعض أَن أَربعين حال، إذ ناب عن الحال وهو بالغا، وردّه أَبو حيان بأَن معمول الحال لا يسمى حالا، وردوا عليه تعصباً بأَن النحاة يسمون معمول

العامل باسم العامل كما يسمون الظرف خبراً، وهذا خطأ، والصواب مع أَبي حيان لأَنّ الظرف يسمى خبراً لتضمنه معنى الخبر الاستقراري، وإِذا حذف المنعوت المخبر به فإِنما يطلق على النعت أَنه خبر لأَنه جيء به على معنى الإِخبار به.

– ما استقل به الشيخ عن غيره فهو:

عدم الاكتفاء بالسماع حيث وجود القياس[68] : يرى الشيخ عدم الوقوف على السماع في معرفة المعنى من اللفظة وذلك في الأسماء التي يجري عليها القياس كـ: «اسم الزمان الميمي والمكان الميمي والمصدر الميمي»، فلا بد من إخضاعها على القياس لمعرفة معنى اللفظة وبالتبع معنى الآية، مع أنَّ ما ورد منها على خلاف القياس فهو مقبول. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾(النبأ:11) «مَعَاشًا»: اسم زمان أي بمعنى: وقتُ عيشٍ أي حياة مطلقاً، أو للكسب كالبعث من الموت، وقيل إِنه مصدر ميمي ناب عن الزمان كجئت طلوع الشمس، فالتخريج على هذا لا يتوقف على السماع وحده.

استعمال القياس فيما كثر نظيره في القرآن[69] :

فقد استحسن الشيخ اطفيش استعمال القياس فيما كثر نظيره في القرآن، وذلك مثل إعمال الفعل في ضميرين متصلين لمسمى واحد مع كون الفعل ليس من باب ظن وعلم، ومثاله في قوله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ﴾(مريم:25) فيقول الشيخ –رحمه الله–: «زعموا أنه لا يعمل الفعل في ضميرين متصلين لمسمى واحد، ولو جرى الثاني بالحرف إلا في باب ظن وعلم، وفقد وعدم ورأى الحلمية. قلت: لا مانع من ذلك إذا كان بحرف الجر، كما هنا، وكما في قوله تعالى: ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ﴾ وقوله: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ وقوله: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ﴾ وقوله: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ وهو كثير في القرآن، وما كثر لا يحسن منعُ القياس عليه، ولا تأويلُه. ولم يجئ في القرآن بلا حرف، وهو الممنوع نحو: ضربتَكَ بفتح التاء، وضربتُني بضمها، وزيد ضربه برد المستتر».

خاتمـــة

إن تيسير التفسير من مؤلفات الشيخ اطفيش القيمة التي ينبغي أن يولى عناية خاصة، لا تعصبا بل يعتبر من الكتب النادرة حيث عنى به مؤلفه، وألقى فيه زبدة عمر مديد من التأليف والتدريس وتقليب الكتب في كل الفنون الأدبية واللغوية والشرعية وحتى العلمية، وخاصة وهو الثالث في تفاسيره، وقد أخلص فيه القصد مصرحا بذلك في سبب تأليفه.

فمما سبق رأينا أنَّ الشيخ اطفيش تطرق في تفسيره إلى مسائل نحوية وأصولية، شأنه شأن كل مفسر لكلام الله تعالى، حيث يرتكزون على النحو العربي لفهم المعنى من الآيات القرآنية الكريمة، فيوجهون إعرابها حسبما يقتضيه الموقف والمقصد الشرعي منها، فيتعدد توجيههم وتخريجهم لتعدد المدارس النحوية والاجتهادات الشخصية لأئمتها وعلمائها، ولم يكن الشيخ بمنأى عن ذلك، فقد وافق كثيرا من آراء هذه المدارس كما خالف كثيرا منها، وله آراؤه الشخصية أيضا. وسأعرض هنا باختصار خلاصة شاملة لما سبق:

– الشيخ اطفيش معلمٌ قبل أن يكون مؤلفا، لذا فإن تحليلات هو آراءه النحوية غالبا ما تكون في شقها التعليمي لا العلمي.

– كان الشيخ موسوعيا، حيث تناول المسائل النحوية وناقشها في مستوى عال حيث أصول المدارس النحوية

وأئمتها الأشمام.

– لم يقتصر على المدرستين البصرية والكوفية، بل توسع في الاطلاع على المدرسة البغدادية فناقش آراءها أيضا.

– يعرض الأدلة التي اعتمدها أصحابها، يناقشها ويحللها، ويقدم رأيا رجح عنده بالأدلة، ويؤخر الآخر المرجوح.

– يرى رأي المدرسة البصرية في الغالب من دون تعصب، وقد يخالفها مبينا خطأها.

– لا يقصي رأي الكوفيين إن رأى فيه الرجحان، وقد يخالفه إن كان غير ذلك.

– يبني رأيه في المسألة على الأدلة والبراهين، ولا يكتفي بما ينقله عن غيره، ولا ينكفي عليه.

– لا يكثر من إيعاز الآراء إلى قائلها، مما يدل على أنَّ الشيخ استوعبها وأدركها.

–يتخذ من بعض الآراء قاعدة يعممها على القرآن الكريم، تصلح لبحث مستقل، مَثَّلُه:

– يرى أنَّ «من» تكون شرطية لا الموصولة التي في خبرها الفاء إن لم يكن فيه تكلف وذلك في كامل القرآن الكريم.

– يرى أنَّ الحال تكون مؤكدة لصاحبها لازمة لأن صراط الله أبدا مستقيم في قوله تعالى: ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً﴾.

الهوامش:

1- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة التعاونية، ط1، 1385ه/1965م، (د.م.ط)، 290/1.

2- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت–لبنان، ط2، 1400ه/1980م، ص 20. جمعية التراث، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، نشر جمعية التراث، القرارة–غرداية–الجزائر، المطبعة العربية، ط1، 1420ه/1999م، **تر**864، 836/4.

3- مصطفى بن الناصر وينتن، آراء الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش العقدية، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، 1417ه/1996م، ص 23.

4- يحيى بن بهون حاج محمد، رحلة القطب، ط1، 2007م، ص22. معجم أعلام الإباضية، **تر**864، 836/4.

5- صالح سيوسيو، شخصية القطب اطفيش من خلال تواصله مع الدولة العثمانية، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، عدد خاص بأعمال الملتقى الوطني الأوَّل حول القطب، المنعقد يومي 27–28 ذو القعدة 1432ه/25–26 أكتوبر 2011م، ع14، ص 108، هامش1.

6- معجم أعلام الإباضية، **تر**864، 836/4.

7- المصدر نفسه. ورحلة القطب، ص 23.

8- نهضة الجزائر،386/1. حمو محمد عيسى النوري، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، دار البعث، قسنطينة–الجزائر، (د.ت.ط)، مج1، ص 326.

9- يحيى بن صالحبن يحيى الأفضلي، أبو زكرياء، (و:1126ه/1714م–ت:1202ه/ 1788م) من العلماء الأعلام، وكبار المشايخ في وادي ميزاب إبان النهضة الحديثة. معجم أعلام الإباضية، **تر**1004، 965/4–968.

10- عبد العزيز بن الحاج إبراهيم الثميني، ضياء الدين، (و:1130ه/1718م–ت: 11 رجب 1223ه/1808م)، علم من أعظم أعلام الإباضية، من بني يسجن بميزاب. معجم أعلام الإباضية، تر555، 532/3–534.

11- رحلة القطب، ص 17–21.

12- نهضة الجزائر،298/1 وما بعدها. وتيسير التفسير، مقدمة، ورقة: (س). معجم أعلام الإباضية، **تر**864، 836/4.

13- آراء الشيخ اطفيش العقدية، ص46. إبراهيم بن أبي بكر حفار القراري، السلاسل الذهبية بالشمائل الطفيشية، نشر مكتبة القطب، (د.ت.ن)، (د.ت.ط) ص43–46. رحلة القطب، ص 24، بتصرف.

14- سعيد بن يوسف بن عدون، وينتن، اليسجني، المعروف بـ الحاج سعيد أنْ باقُو، (حي في:1367هـ/1947م)، من حكماء زمانه في بني يسجن، بوادي ميزاب، أخذ العلم ببلدته عن الشيخ أبي يعقوب يوسف بن حمُّو بن عدون. معجم أعلام الإباضية، **تر**414، 387/3–388.

15- عمر بن سليمانُوح، (ت:1292هـ/1875م)، من مشايخ مدينة بني يسجن بميزاب، أخذ العلم عن الشيخ بالحاج بن كاسي القراري، وعن سليمان بن عيسى، كان قاضياً في بني يسجن، زمان مشيخة الحاج محمَّد بن عيسى أزبار، وله معهد في بني يسجن. معجم أعلام الإباضية، **تر**661، 643/3.

16- بكير بن سعيد أوعوشت، امحمد بن يوسف اطفيش، حياته–آثاره الفكرية–جهاده، نشر مكتبة الضامري، سلطنة عمان، المطبعة العربية، (د.ت.ط)، (د.ت.ن)، **ص** 64–66. تيسير التفسير، مقدمة (س، ع). السلاسل الذهبية، **ص** 38–39.

17- نهضة الجزائر،1/300–301. رحلة القطب، **ص** 25.

18- عائشة بن عمر بن سليمان، نوح، (**ت**1357هـ/1938م)، من النساء العالمات، أخذت العلم عن والدها، وعن زوجها قطب الأيمة الشيخ اطفيش، مفتية ولها دروس في الوعظ والإرشاد للنساء. معجم أعلام الإباضية، **تر**526، 497/3–498.

19- نهضة الجزائر،1/305–307. رحلة القطب، **ص** 25–26. معجم أعلام الإباضية، **تر**864، 837/4.

20- نهضة الجزائر،1/300 وما بعدها. رحلة القطب، ص 26. معجم أعلام الإباضية، **تر**864، 837/4.

21- بكير بن سعيد أوعوشت، قطب الأيمة محمد بن يوسف اطفيش، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، (د.ت.ط)، **ص** 86–91. معجم أعلام الإباضية، **تر**864، 846/4.

22- صالح بن عمر اسماوي، العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بمزاب، نشر جمعية التراث، القرارة، غرداية–الجزائر، ط1، 1426هـ/2005م، الهامش: رقم: 5، 812/2. معجم أعلام الإباضية، **تر**864، 847/4.

23- آراء الشيخ اطفيش العقدية، ص 51. معجم أعلام الإباضية، تر 864، 846/4.

24- محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، مطبعة البعث، قسنطينة–الجزائر، ط1، 1398هـ/1978م، 51/3–54.

25- محمد بن أبي القاسم، أبو عبد الله، الشهير بالهاملي، (و:1239/1823م– ت:1315هـ/1897م)، ولد قرب حاسي بحبح جنوب الجزائر، فقيه له مشاركة في علوم الحديث والكلام والتاريخ والأخلاق والتفسير. معجم أعلام الجزائر، **ص** 335.

26- سالم بن عمر بوحاجب النبيلي،(و:1243هـ/1827م– ت:1342هـ/1924م)، فاضل مالكي، من أهل تونس، تولى التدريس بجامع الزيتونة ثم الفتيا، ثم عُين كبيرا لأهل الشورى المالكية. خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم، دار العلم للملايين، ط5، 1980م، 71/3–72.

27- محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني، (و:1266هـ/1849م– ت:1323 هـ/1905م)، مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، الأعلام، 252/6–253.

28- نهضة الجزائر،1/352–357. رحلة القطب،ص40، وما بعدها. السلاسل الذهبية، **ص** 29–31.

29- عبد الله بن حميد بن سلوم بن عبيد بن خلفان بن خميس السالمي، (و:1284هـ/1867م–ت:1332هـ/1914م)، من أعلام الإباضية، من عمان، من معاصري الشيخ اطفيش، عاش ضريرا، من مؤلفاته: شرح طلعة الشمس، معارج الآمال، مشارق أنوار العقول. نور الدين السالمي، طلعة الشمس شرح شمس الأصول، تح: عمر حسن القيام، دار الرشد، بيروت–لبنان، ط1، 2008م، 11/1 وما بعدها.

30- نهضة الجزائر،1/308. معجم أعلام الإباضية،**تر**864، 848/4.

31- تاريخ الجزائر الثقافي من 1830 إلى 1954م، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998م، 9/7.

32- نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ط1، المطبعة التعاونية، 1965م، 302/1.

33- المرجع السابق، 302/2.

34- رحلة القطب، **ص**27. معجم أعلام الإباضية، **تر**864، 837/4.

35- رحلة القطب، **ص**29. معجم أعلام الإباضية، **تر**864، 838/4.

36- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة العربية، غرداية–الجزائر، ط1، 1389هـ/1969م، 3/3–5. رحلة القطب، **ص** 27. معجم أعلام الإباضية، **تر**864، 838/4–839.

37- آراء الشيخ اطفيش العقدية، ص 63.

38- معجم أعلام الجزائر، ص 20. معجم أعلام الإباضية، **تر**864، 839/4.

39- نهضة الجزائر،313/1–322. معجم أعلام الإباضية، **تر**864، 839/4.

40- اطفيش امحمَّد بن يوسف، تيسير التفسير، تحقيق إبراهيم بن محمد طلاي، مقدمة المحقق، المطبعة العربية، 11 نهج طالبي أحمد–غرداية، 1417ه/1996م، 1/و،ز.

41- اطفيش امحمَّد بن يوسف، كشف الكرب في ترتيب أجوبة الإمام القطب، ترتيب: أبي الوليد سعود بن حميد بن خُليفين المضيربي، تحقيق محمد على الصليبي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1405ه–1406ه/1985م–1986م، 96/1.

42- تيسير التفسير: 343/5.

43- السيوطي، همع الهوامع: 462/1 وما بعدها.

44- الحسن المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني: 290 وما بعدها.

45- تيسير التفسير: 42/9.

46- المصدر نفسه:6/2.

47- التحرير والتنوير: 267/2. الكشاف: 251/1. المحرر الوجيز: 279/1.

48- مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، صيدا–بيروت، ط28، 1414ه/1993م، 186/1.

49- أبو حيان، البحر المحيط: 328/2. جلال الدين السيوطي، حاشية على تفسير البيضاوي: 401/2.

50- تيسير التفسير: 117/14.

51- المصدر نفسه: 288/8–289.

52- المصدر نفسه: 141/6.

53- أبو البركات بن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحق: جودة مبروك محمد مبروك، الشركة الدولية للطباعة، ط1، 2002، 360/1.

54- تيسير التفسير: 395/5.

55- الإنصاف في مسائل الخلاف، 505/2.

56- تيسير التفسير: 382/16–383.

57– المصدر نفسه: 67/14.

58- المصدر نفسه: 106/6.

59- جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، 1418ه/1998م، 408/2–409.

60- عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف المصرية، ط2، 1974م، 297/4–298.

61- تيسير التفسير: 132/12.

62– المصدر نفسه: 25/5.

63– المصدر نفسه: 51/5.

64- المصدر نفسه: 356/11.

65- المصدر نفسه: 38/3.

66- إبراهيم بن سليمان البعيمي، المنصوب على التقريب، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة التاسعة والعشرون، العدد: 107–(1418/1419ه)، ص 501.

67- تيسير التفسير: 172/5.

68- المصدر نفسه: 11/16.

69– المصدر نفسه: 31/9.

المصادر والمراجع:

1–إبراهيم بن أبي بكر حفار القراري، السلاسل الذهبية بالشمائل الطفيشية، نشر مكتبة القطب، (د.ت.ن)، (د.ت.ط).

2-إبراهيم بن سليمان البعيمي، المنصوب على التقريب، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة التاسعة والعشرون، العدد: 107– 1419/1418هـ.

3–أبو البركات بن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحق: جودة مبروك محمد مبروك، الشركة الدولية للطباعة، ط1، 2002.

4–أبو حيان محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، تحق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت،ط، 1420هـ.

5–اطفيش امحمَّد بن يوسف، تيسير التفسير، تحقيق إبراهيم بن محمد طلاي، مقدمة المحقق، المطبعة العربية، 11نهج طالبي أحمد– غرداية، 1417هـ/1996م.

6–اطفيش امحمَّد بن يوسف، كشف الكرب في ترتيب أجوبة الإمام القطب، ترتيب: أبي الوليد سعود بن حميد بن خُليفين المضيربي، تحقيق محمد على الصليبي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1406هـ/1986م.

7–بكير بن سعيد أوعوشت، امحمد بن يوسف اطفيش، حياته–آثاره الفكرية–جهاده، نشر مكتبة الضامري، سلطنة عمان، المطبعة العربية، (د.ت.ط)، (د.ت.ن).

8–بكير بن سعيد أوعوشت، قطب الأيمة محمد بن يوسف اطفيش، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، (د.ت.ط).

9–أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من 1830 إلى 1954م، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998م.

10–محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984م.

11–السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، نواهد الأبكار وشوارد الأفكار، حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي، جامعة أم القرى– كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية، 1424هـ/2005م.

12–السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ/1998م.

13–جمعية التراث، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، نشر جمعية التراث، القرارة–غرداية–الجزائر، المطبعة العربية، ط1، 1420ه/1999م.

14–المرادي، أبو محمد حسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحق: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1413هـ/1992م.

15–حمو محمد عيسى النوري، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، دار البعث، قسنطينة–الجزائر، (د.ت.ط).

16–خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم، دار العلم للملايين، ط5، 1980م.

17–صالح بن عمر اسماوي، العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بمزاب، نشر جمعية التراث، القرارة، غرداية–الجزائر، ط1، 1426ه/2005م.

18–صالح سيوسيو، شخصية القطب اطفيش من خلال تواصله مع الدولة العثمانية، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، عدد خاص بأعمال الملتقى الوطني الأوّل حول القطب، المنعقد يومي 27–28 ذو القعدة 1432ه/25–26 أكتوبر 2011م،ع14.

19–عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت–لبنان، ط2، 1400ه/1980م.

20–عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف المصرية، ط2، 1974م.

21–الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي –بيروت، ط3، 1407هـ.

22–ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1422هـ.

23–محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، مطبعة البعث، قسنطينة–الجزائر، ط1، 1398ه/1978م.

24–محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة التعاونية، ط1، 1385ه/1965م. والمطبعة العربية، غرداية–الجزائر، 1389هـ/1969م.

25–مصطفى بن الناصر وينتن، آراء الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش العقدية، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، 1417ه/1996م.

26–مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، صيدا–بيروت،ط28، 1414ه/1993م.

27–نور الدين السالمي، **ط**لعة الشمس شرح شمس الأصول، تحقيق: عمر حسن القيام، دار الرشد، بيروت–لبنان، ط1، 2008م.

28–يحيى بن بهون حاج محمد، رحلة القطب، ط1، 2007م.